طَهارةُ الوِجدانِ
استِعدَادًا لـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في

مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد) /http://www.muslimat.net
- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

اللقاء ١ألقي يوم الثلاثاء ١٤٣٥/٨/١٢

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، نحمد الله عز وجل حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا، ونسأله أن يجعل هذه الثلاثة أيام مباركة علينا وتكون سببًا لصلاح قلوبنا وسببًا لاستقبال رمضان كما ينبغي وكما يحب هو سبحانه ويرضى. موضوعنا هو جواب لسؤال دائمًا نتكلم عنه، **كيف يستقبل الإنسان رمضان كما ينبغي؟**

الجواب: **طهارة الوجدان سبب من أسباب استقبال رمضان كما ينبغي**. المقصود بالوجدان القلب، وطهارة القلب أمر تفهمه من جهات عدة، وتفهمه من جهة أثره على عبادتك -إن شاء الله- من خلال النقاش الذي سنتناقشه اليوم، نسأل الله أن يبلغنا رمضان.

لقبول العمل شروط، وهذه الشروط تبدو من حال الإنسان في نفس العمل. يعني حتى تشعر هل هذا العمل مقبول أو غير مقبول أثناء قيامك بالعمل هناك صفات لا بد أن تكون في داخل العمل تستشعر من ورائها أن هذا العمل مقبول، وأنك تسير في الطريق المستقيم.

شروط قبول العمل:

١. أن تكون قد بذلت جهدك في تحقيق الإخلاص.
٢. وقد بذلت جهدك في متابعة النبي -صلى الله عليه وسلم- في العمل.

الإخلاص لله عمل يقوم به القلب لا يطَّلع عليه إلا الله، وقد يمر الإنسان بلحظات لا يستطيع أن يحكم على نفسه هل كان مُخلصًا أو أنه ليس بمخلص؟ فإذن لما نأتِ نريد أن نستعد لرمضان ونستقبله كما ينبغي، ونريد أن نشعر أثناء العمل أننا ممن هم بإذن الله مقبولين، نقول: الأمر تام الوضوح لكن تحقيق هذا الأمر فيه الكثير من الصعوبة على قدر وضوحه.

فمعنى ذلك أنك لا تستعد لرمضان إلا **بإصلاح قلبك**؛ لأن الإخلاص عمل قلبي لابد فيه من نقاوة القلب. وهذا العمل أصعب ما يكون على الإنسان، ففي مواطن كثيرة لا يستطيع أن يحكم الإنسان على نفسه ليس فقط في الإخلاص حتى أنه قارب الإخلاص أو لم يقاربه، ويغفل كثيرًا عن عمل القلب.

نحن نريد أن نتناقش في هذا الأمر **الإخلاص وما فوقه، إلى أن نصل إلى درجة الإحسان.**

مكانة القلب في الدين:

لابد أن نفهم أن أي استعداد لأي عبادة يجب أن يكون مركز على قلبنا، نحن نحفظ أحاديث كثيرة على مكانة القلب، من أشهر الأحاديث:

- «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» [1].

هذا النص يقول لك خبرًا يجب أن تكون فطنًا وقت سماعه، الخبر يقول: تريد إصلاح بدنك الذي يصوم والذي يقوم، وعينك التي تنظر إلى القرآن ولسانك الذي يقرأه، تريد إصلاحه؟ أصلح قلبك؛ لأن هذه المضغة:

إذا صلحت ⟸صلح البدن وأطاع

وإذا فسدت ⟸فسد البدن وعصى

إذن القلب له مكانة عظيمة في الشريعة، فهو بمثابة الملك فإما:

- ملك له سلطته على البدن
- أو البدن خرج على الملك وأصبح البدن هو الذي له السلطة.

مثلا يؤذن الفجر الساعة ٤:١٢، فتحت عينك الساعة ٣:٣٠، الآن قلبك الذي فيه إيمان يقول لبدنك: هيا قم هذا الثلث الأخير من الليل، اكسب هذه الساعة وادعوا وأنت تعرف فضله، وبدنك يقول لقلبك: غفوة بسيطة، فتحصل حالة من الصراع بين الملك وبين الجنود، من ينتصر؟ على حسب قوة القلب:

إن كان القلب ضعيفًا ← ستأخذ غفوة وربما ذهب وقت الفجر!

وإن كان الملك قويًّا ونقيًّا ← سيفزع البدن مؤتمرًا بأمر القلب.

تأتي تصوم كل اثنين وخميس، تذكرت الصبح أن اليوم خميس، فيقول لك البدن أن ستشعر بالصداع اليوم ووراءك أشغال، الآن دخلت في صراع، من ينتصر في الصراع ؟ القوي منهما.

لذلك إذا صلح القلب –الملك– ماذا يحصل للبدن؟ يصلح ويطيع.

وإذا كان القلب مريض وضعيف ماذا يحصل للبدن؟ يفسد.

وفي نهاية الرحلة ⟸سيصبح البدن هو الذي يركب القلب ⟸فتصبح الشهوات والبدن هي الملك.

[1] "صحيح البخاري" (كِتَاب الْإِيمَانِ/بَاب فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ/٥٢)، ومسلم (كِتَاب الْمُسَاقَاةِ/ بَاب أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ/١٥٩٩).

إذًا أنت عبارة عن قلب وبدنك مجرد تابع لقلبك. فهذا النص عظيم دائمًا نذكِّر نفسنا به حتى نفهم، تريد أن تستعد للطاعات، تريد أن تستقبل رمضان، تريد أن تقوم بالحج، تريد أن تفعل أي طاعة، اعلم أن القضية دائرة في قلبك، إذا صلح، صلح كل شيء وراءه، وإذا كان فاسدًا، مهما خضت من التجارِب والأعمال الصالحة ولك قلب فاسد فلن تستفيد من مواطن الطاعات.

دليل آخر يبين مكانة القلب:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»[1] .

أنت الآن صائم قائم، صورتك -صورة بدنك- جائع، عطشان، قائم، تقرأ القرآن، لكن قد يكون القلب في وادٍ آخر تمامًا، هذا الوادي الآخر الذي يهيم فيه القلب الله ينظر للقلب وهو هائم في الوادي، بمعنى أن صورتك التي تغرّ الناس أنك صائم أو قائم أو متصدق ليست هي التي ينظر إليها الله أو يعتبرها، بل ينظر إلى قلبك وما هو موجود فيه. فخداعك لله أو أن تُظهر شيئًا ليس موجودًا في القلب، هذا كله سينقلب عليك وليس لك!

معنى ذلك أن صلاح بدنك وقت الطاعات وفساده إنما هو⟸ مؤشر لصلاح القلب أو فساده.

فلا تطلب من بدنك صلاح وصيام وقيام وطاعات متتابعة والقلب مريض. لا يصلح تحميل البدن ما لا يستطيع إذا كان القلب فاسد. ولا تطلب من البدن أن يسير على الصراط المستقيم وهو في فساد من الداخل.

ثم الأمر الثاني: حتى إن استطعت أن تمُثل الطاعات وتعايشها فترة من الزمن، فاعلم أن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم، فمعنى ذلك أن الصلاح إنما هو رهين صلاح القلب، والفساد مثله.

هناك نصوص كثيرة وخلال الكلام تأتينا نصوص أخرى عن القلب.

هذا القلب الذي نريد أن ندخل به رمضان ومواسم الطاعة عمومًا، ماذا يصيبه من أمراض فيصبح غير طاهرًا وغير مستعدًا أن يكون فيه الإخلاص؟

وحتى نتصور، ها هم حولنا الناس يحصل لهم الموت ويفقدون الأحبة إما في فاجعة أو في مرض أو في غيره، مع ذلك الناس وقت الموت يجدون أن القلب لا زال قاسيًا ولا يلين ولا ينشط، مقياس القسوة أن مع رؤيته لنهاية كل أحد لكنه لا ينشط إلى أي شيء لا إلى الطاعة ولا التوبة ولا الاستغفار، مع أن المفروض مثل هذه الأحداث بالنسبة لنا تكون محركة توصل الإنسان إلى الاستقامة، وتوصله إلى ما يحب الله ويرضاه.

---

[1] "صحيح مسلم"(كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ/بابتحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله/٦٥٤٣)

أهم مرض يصيب القلوب ويوصلها إلى القسوة:

ضعف الإيمان

وهذا يسبب أن تمر على الإنسان الأحداث بعد الأحداث، والقلب إما مريض أو قاسي وإما غافل ولاهي. لذا لو أردنا أن نبدأ بطهارة الوجدان سنبدأ أولًا بالكلام حول الإيمان.

إذا أردت أن يطهر وجدانك، فلابد أن تعرف أن فيه ملوثات كثيرة داخله، أنت مؤمن بالمحسوسات، متعلق بها، متعلق بالشيء الذي أمامك وتحت نظرك سواء ما تتعلق به كان حظ نفسك عند الناس تريد لنفسك المكانة، أو تتعلق بالدنيا من مال ومظهر، أي شيء أنت متعلق به من جهة الدنيا وتحس به سيقوى شعورك تجاه المحسوسات ويضعف شعورك تجاه الغيبيات، فيصبح كل التفكير في هذا المحسوس، وهذا أعظم مرض يصيب القلب أن تغيب عنه الحقائق التي وراء المحسوسات. وهذا أكبر اختبار يعيشه الناس.

يقول الله –عز وجل– في مطلع سورة المؤمنون {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}[1] هذا أهم شرط أن يكون مؤمنًا، فإذا وُجد الإيمان بدأت طهارة القلب، وإذا ضعف الإيمان جاءت الأمراض وأشكالها.

هذا الإيمان هو سبب الصلاح والطهارة

نريد أن نناقش الإيمان الذي سيخرجنا من الأمراض والقسوة، الإيمان قال تعالى في مطلع سورة البقرة : {الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}[2] المتقين: هم طاهري القلب[3]، {الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}[4] أول شرط: يؤمنون بالغيب[5] قبل أي عمل، يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة في أي موطن بعد ما يؤمنون.

هذه الأعمال لا تصلح إلا بعد قوة إيمان بالشيء الغيبي، وهذا الشيء الغيبي إذا لم يحصل له تحريك في القلب، ستصبح الأعمال مجرد عادات؛ لأننا لا نفكر في لقاء الملك العظيم. لو أن أحد فينا ينتظر لقاء محبوبه أو ينتظر ملكًا عظيمًا سيذهب لزيارته، سينشغل طول الأيام السابقة لذلك استعدادًا للقائه، لماذا؟ لأن اللقاء محسوس، فالمحسوس يثير دواخلنا ويجعلنا نتحرك، أما الغيب محجوز عنا بكونه غيب لا نشعر به، لا نذوقه، مما سبب لنا أن نغفل عنه، لذلك الله عز وجل يقول: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}[6] ، إلى متى ألهانا؟ {حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ}[7] حتى دخلتموها، حتى أصبحتم

---

[1] المؤمنون : ١

[2] البقرة:١-٢

[3] البقرة: ٣

[4] التكاثر: ١

[5] التكاثر: ٢

من أهلها، التكاثر في الدنيا والشيء الذي بعده لا ينتهي؛ والسبب ضعف الإيمان بالغيب مع قوة الطمع بالمحسوس، الناس في أول رمضان يفكرون في العيد ماذا يفعلون! وفي شعبان يفكرون في رمضان ماذا يأكلون! فالمحسوس أكل القلوب.

من المعلوم عند أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي. انظروا أول يوم في رمضان ماذا يتوقع بالنسبة لثاني يوم؟ ثاني يوم سيكون أقوى في الطاعة أم أول يوم؟ المفروض ثاني يوم؛ لأنك أطعت أول يوم فالمفروض زاد إيمانك. لكن قارنوا بين أول رمضان وبين عاشر رمضان؟ ينحدر! معنى ذلك أن ثاني يوم لم يكن أفضل من أول يوم. بعد ذلك نأتي لليوم الخامس عشر نحتاج تنشيط جديد! نأتي للعشر الأخير نقول لبعض هذه ليست ليلة وترية، يعني اذهب وافعل ماتريد! وهذا كله دليل على أننا لا نسير على الطريق الصحيح.

وانظري أكبر دليل نتفق عليه، ليلة رمضان وأول شوال شاهد على ضعف الإيمان وذلك في ترك الصلاة وإهمالها، وترك السنن، وترك قيام الليل الذي كنت تقومه كل ليلة! فهذا معناه أن هذه الأعمال لم تقع على القلب ومازاد الإيمان المنتظر، فمعنى ذلك لابد من مراجعة، وهذه المراجعة سببها أن الناس يسيروا مع بعض في الدنيا، وكذلك في الآخرة يسيروا مع بعض إلى أن يضرب بينهم بسور له باب: {فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٣) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ}[1] . ما معنى ألم نكن معكم؟ يعني نصلي صلاتكم ونجلس مجالسكم. قالوا: بلى، لكن أنتم بنفسكم فتنتم أنفسكم، وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور، غرتنا الأماني وغرنا بالله الشيطان، هذه الحالة التي نحن فيها.

أول الأمر أن نفهم أن أول الوصول الإيمان بالغيب، الإيمان بالله ولقائه، ومعرفته سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، إلى أن يصل الإنسان إلى حال يصبح الغيب عنده شيء مهم مُلِحّ يفكّر فيه، يفكر في لقاء الله، من هو الله الذي ستلقاه، أن يحمل هم لقاء الله ، يصير عندك تفكير، كما تعلمون كلكم هناك شمس تقترب، وهناك أعمال تستطيع أن تفعلها لتكون تحت ظل هذه الشمس، ((كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاسِ أَوْ قَالَ يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ))[2] ، إذا فعلت الفعل وأنت تفكر فيما غاب على الناس لأنه غيب، معنى ذلك أن وجدانك هو الذي تحرك بالعمل قبل بدنك. لا تجعل القصة كلها في عمل البدن، وفي نهاية الأمر سيكون الواقع أننا نخرج من رمضان ولم يزِد القلب إيمانًا.

[1] الحديد: ١٣-١٤

[2] "مسند أحمد" – مُسْنَدُ الشَّامِيِّينَ –(كل امرئ في ظل صدقته حتى يفصل بين الناس أو قال يحكم بين الناس/١٦٨٨٢)

ما هو الإيمان وكيف نزيده؟

نعرف أن هذه الحقائق موجودة أصلًا لكن {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}[1] نحتاج لتحريك هذا المفهوم وكيف أن الإيمان أصبح ضعيفًا ونحتاج إلى تقويته.

الإيمان معناه: التصديق الجازم. عندما تقول لأحد صدّقني، معناه: أني أتيت لك بمعلومة، أتيت لك بخبر، يعني أنا آتيك بأخبار وأطلب منك تصديقها. معنى ذلك لو قلت أنا مؤمن بالله، تعني: أنا مصدق تصديقًا جازمًا بكل الأخبار التي أتتني عن الله –عز وجل–أسماؤه، صفاته، أفعاله، وها نحن نقرأ {الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ}[2] ، ثم نسأل أنفسنا : نحن مصدقين يقينًا أنه حي قيوم، أين مشاعرك التي يظهر فيها أنك مؤمن مصدق يقينًا جازمًا أنه قيوم قائم على كل نفس، قائم عليك يجري دمك في بدنك، يأمر الرئة بالتنفس فتتنفس، أين هذا اليقين؟ المفروض أن الأخبار التي أتت وسمعناها عن الله نفهمها جيدًا ثم نعايشها معايشة جيدة.

ها نحن نقرأ آية الكرسي ونختمها فنقول: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ}[3] ، ونعرف أنه سبحانه وتعالى له علو الذات على العرش استوى، وله علو الصفات، مهما رأيت كريم فهو سبحانه وتعالى أكرم الأكرمين، ومهما رأيت قريب فهو سبحانه وتعالى أقرب للعبد من حبل الوريد، ومهما رأيت ومهما رأيت من صفات الكمال نعرف أن الكمال كله لله عز وجل. إذا كان الله عز وجل عال بذاته وعال بصفاته وعال بقهره وسلطانه، يعني: لو اجتمعوا على أن يضروك أو يكيدوك، لو كان لديك إيمانًا ستقول كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–لابن عباس: ((وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ))[4] هذا الكلام الذي نقوله لو وُجِد يقين وإيمان! نحن في الهدوء نقول أحسن ما يكون، لكن لما تأتِ المواقف يخرج الذي في الداخل من يقين.

فهذا الكلام الذي نقوله لابد أن تأتي في مواقف تُختبر فيه، لا توجد دعوى مع الله {الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}[5] كل واحد يقول أنا مؤمنٌ بالله وكمال الله وأنه حي قيوم، لابد تمر عليك أحداث وتدخل في الاختبار، ويكون هذا اختبار إيمانك أنه قيوم، وهذا اختبار إيمانك أنه علي، وهذا اختبار إيمانك أنه قريب أنه مجيب أنه جبار، كل يوم تمر باختبار بأسماء الله وصفاته وأفعاله ورسوب وراء رسوب، فيضعف الإيمان من هذا المنطلق.

---

[1] الذاريات: ٥٥

[2] البقرة: ٢٥٥

[3] البقرة: ٢٥٥

[4] "سنن الترمذي"(كِتَاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ / لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه/٢٥١٦)

[5] العنكبوت: ١-٢

نحن نقول كل يوم بعد كل صلاة: (اللهم أنت السلام ومنك السلام)، هذه التحية العظيمة يقولها أهل الجنة- نسأل الله من فضله لنا ولكم والمسلمين ووالدينا ووالديهم آمين- هذه التحية يقولها المؤمنون لما يلقون ربهم في وادي الأفيح، لما يلقونه ويذكرون نعمه سبحانه عليهم، فيسلِّم عليهم فيقول الله عز وجل: السلام عليكم، فالمؤمنين يقولون: اللهم أنت السلام ومنك السلام. من يقول هذه الكلمة؟ الذي عاش يفهم أن الله سلام! وكيف تقول: سبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله بعد أن تقول: اللهم أنت السلام ومنك السلام؟ تقول: لا يوجد ظن سوء يلقيه الشيطان في نفسي فأقبله، فأنا أعلم يقينًا أنك سالم من كل نقص، فالذي يلقيه الشيطان من نقص ومخاوف ويخوفني أعلم يقينًا أنك سالم منه.

انظر كيف الشيطان يأتينا من كل مكان، سيحصل لأولادك حادث، سيضيق عليك، سيموتون! أمام كل هذه المخاوف إيمانك أن الله سلام وأنه حفيظ ومجيب وقريب إلى آخر ما يجب أن نعرف لا ما ندَّعي أننا نعرف!

فرق كبير بين ما يجب أن نعرف وما ندَّعي أننا نعرف.

لو عدنا إلى آية الكرسي: {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} عرفت أن العلي له علو الذات والقدر والقهر، ومهما اجتمعوا لن يضروك، ومهما تعلقت بهم حتى ينفعوك لن ينفعوك، إذن معنى ذلك لما تقف في صلاتك وقبلة بدنك الكعبة فليكن طول وقتك قبلة قلبك العلي العظيم، الذي يجب أن يكون في قلبك {الْعَلِيُّ} الذي له علو الذات، له علو القهر، له علو المكانة والقدر والصفات، الذي له العلو في كل شيء. فلما يأت أي قوي تعلم أن الله أقوى منه، لما يأت أي أحد يريد أن يمكر بك تعرف أن الله يمكر بالماكرين ويكيد للكائدين، {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ} [1]، كم نردد هذه السورة وكم تفكَّرنا في فعل الله؟ فكِّروا معي، قصة الفيل معروفة، وهي أن الله عز وجل مكر وكاد بأصحاب الفيل الذين أرادوا هدم الكعبة مكرًا يبيِّن لك كيف أفعال الله ومن ثَمَّ تثق بالله. يعني هم كانوا في اليمن وكادوا هذا الكيد وجمعوا الجيش لكن الله أهلكهم لما كانوا في اليمن، وصلوا إلى الطائف ولم يهلكهم في الطائف، متى أهلكهم؟ لما أصبحوا هم وهدفهم أمام بعض - بتعبيرنا نحن: في عنق الزجاجة-ولما تخلى كل الناس وقريش هربت وطلعت إلى الجبال، ثم هذا الفيل ماذا سلط الله عليه؟ الحجارة.

بعد أن تقرأ هذه السورة وأنت مؤمن يقينًا بصفاته، القلق الذي في قلبك ويجعلك ما تستطيع أن تفكر وتعيش وتقف على قدميك يذهب {وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ }.

{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ} [2] من هذا الذي يظن لأنه تملَّك وبسبب ملكه يطغى؟ وبعد ذلك يظن

[1] الفيل: ١-٢

[2] الفجر: ٦-١٠

أن الله سيتركه؟ كلهم ماذا فعلوا؟ عاد وثمود وفرعون اجتمعوا في ماذا؟ {الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ} ثم ماذا؟ {فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ} سوط من عذابه، يعني: شيء[٢] بسيط من عذابه.

معنى ذلك، مَن الله في قلبك؟ هذا هو الإيمان!

أنت تعيش الحياة كلها حتى تصل للقبر وتُسأل ثلاثة أسئلة، تنجح فيها وتعيش في النعيم: من ربك؟ مادينك؟ من نبيك؟ هذا هو الإيمان.

لما يكون هذا كله مطفي في القلب ليس له بريق، ليس حيًا رغم أننا نختم القرآن، وفي القرآن كلام عظيم يحكي لك من هو الله، وكيف فعل بهؤلاء وكيف فعل بهؤلاء.

لما تستفتحوا أوائل القصص وتجدون الله عز وجل يقول:{إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ } هذه خمس صفات لفرعون[٣]، ثم اسمع ماذا يقول الله –سبحانه وتعالى– عن نفسه: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ} اقرأ القصة للآخر، تجد الخمس إرادات التي أرادها الله كانت رغم ملك فرعون. إذن الله يخبرك من هو، وكلما قرأت القرآن ستعرف من هو الله.[٤]

لكن اقرأ القرآن قراءة من يريد معرفة الله

عليك أن تقرأ القرآن ليزاح هذا الغياب الحاصل لنا، وهو غيب والاختبار في الغيب.

هل لما نلاقي ربنا، ويقينا سنلقاه ونكلمه ما بيننا وبينه ترجمان، هل نستطيع أن نقول: يا رب أنا لي عذر أني لم أعرفك؟!

دعونا نعدّ ماذا أعطانا الله حتى نزيح هذه الغُمة التي نعيشها من ضعف الإيمان:

١- **الله عز وجل خلق الخلق كلهم على فطرة سوية**، هذه الفطرة السوية فيها سؤال دائمًا مُلِح: من فعل ولماذا فعل؟ الطفل الصغير لو ضُرب يسأل من ضربني ولماذا؟ هذا الذي عند الطفل الصغير في فطرته التي فطر عليها،

[١] الفجر: ١١-١٢

[٢] الفجر: ١٣

[٣] القصص: ٤

[٤] القصص: ٥-٦

الإنسان موجود طول الحياة عليها وهذا السؤال يصاحبه، ها هي الأشياء حولك طول اليوم تشهد بأفعاله وعظمته سبحانه وتعالى:

- الشمس كل يوم تولد وتصبح شابة وسط النهار ثم تموت وتزول آخر النهار، مافي أحد يسأل من فعل ولماذا وما الدلالة؟
- والقمر الذي يولد في أول الشهر ثم يصبح شابا يبتدر ثم يموت آخر كل شهر، وما تقول من فعل ولماذا فعل وما الدلالة؟

هذه الأشياء الموجودة في داخلنا لما تضعف بسبب: **{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}** تصبح العلامات والإشارات موجودة وأنا في صَد كأني لا أرى ولا أسمع!

نضرب مثال نعيشه دائمًا: لما نتكلم عن الحليب آخر شيء نعرفه ونمدحه في الحليب الشركات، ولما نقرأ في سورة النحل كيف أن خروج هذا اللبن **{نُسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ}** خالص وسائغ للشاربين خرج من بين الوسخ والدم، ومع كذا خرج فيه صفتين: لم يصله الوسخ ولم ينقع فيه الدم، أين سبحانك وقت ما نشرب الحليب؟ عَزَلتنا العوازل.

مرة أخرى **{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ}** من جهة، ومن جهة أخرى غرتنا الأماني **{وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ}**، لذلك لا نستطيع أن نقول لربنا نحن خلقنا على خلقة لا توصل إليك! نحن خلقنا على خلقة توصلنا إليه. لذلك **نسمع دائمًا في القرآن أن النبي مُذكِّر وأن القرآن ذكرى**، معنى ذلك:

- أننا كلنا مستقر فينا الفطرة السوية التي تدلنا على ربنا
- ثم حولنا كل الإشارات والدلالات التي تدلنا على ربنا
- ثم جاءت المنة العظيمة بأن أرسل الرسول وأنزل الكتاب.

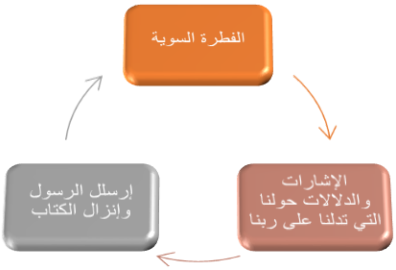

إذن ثلاث أمور موجودة في داخلي، لو كان الشخص في آخر الأرض ستنطق فطرته وتقول: من فعل؟ ويهتدي إلى معرفة الله ، لو كان أين ما كان الشخص؛ لأنه خلق على الفطرة.

[1] النحل: ٦٦

مَلَكَة الإنسان عندما يشعر بالجوع والعطش لما يكون طفل صغير. مثل ذلك الفطرة مَلَكَة داخل الإنسان دائمًا تسأل: مَن فعل ولماذا فعل؟ ما تسكُت هذه الملَكَة إلا إذا أسكتها هو بمشاغل شغلت هذه الفطرة عما يجب.

إذن هذه أول عطية أعطانا الله إياها أنه خلق الناس كلهم على فطرة سوية، تساعدهم على أن يؤمنوا، معنى ذلك أن الإيمان ليس ضد ما في داخلك، نحن فطرنا أيضًا على مستحسن حب العدل ومستقبح في نفوسنا كلنا الظلم.

لو رأيت شخص كبير يضرب صغير ماهي مشاعرك؟ أن هذا غير مقبول، لا يعتدي الكبير على الصغير، كلنا مجمعين على كراهية الظلم وكلنا مجمعين على حب العدل.

(أ) تعطيني هدية و (ب) ما تعطيني، فذهبت لأشكر (ب)، هل يقبل الطفل الصغير؟ لا، لأنه يرى ذلك ليس عدلًا! طيب لو شكرت (أ) و (ب) أيضًا لا يقبل، يقول لك هذا لم يفعل لك شيئا، (أ) فقط هو الذي تشكرينه! فانظري إلى أي درجة العدل مهم وموجود.

انظر إلى طاعة الله وعبادته وشكره والثناء عليه هذا هو العدل، أعطاك تشكره، والذي لم يعطك ما تجعل له في قلبك مكان، لا يوجد أحد أعطاك على الحقيقة إلا الله **{أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٥) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٧) أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٨) أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ}**[1] ماذا ستجيبون؟ الله هو الذي أنزلها، انظري للمكونات الثلاثة: النار والماء والزرع، ونحن لما نطبخ ونأكل أي شيء، يكون من هذه الأشياء، نردّ كل شيء لأصله تجده عطية من الله، فهو وحده الذي يُشكر.

لذلك لقمان قال لابنه: **{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}**[2] ثم سمّى الشرك ظلم عظيم؛ لأن النفس لا ترضى بالظلم، فهذه الفطرة التي فطرنا عليها تدفع الناس للإيمان.

إذن هذا رقم واحد الذي خلق الخلق كلهم من أجل أن يزول هذا الحجاب عنهم ويزول هذا الحاجز عن قلوبهم، فرقم واحد الفطرة السوية.

٢- ثم أعطانا الله حولنا آيات ننظر إليها لنعرف من ربنا.

مثال: تمر على رصيف قد بني من الأسمنت ووضع عليه بلاط، ثم تأتي وسط هذا الرصيف تجد نبتة، ماذا تشير لكم؟ تشير إلى أنه على كل شيء قدير، وإلى لطف الله، وإلى حكمة الله، أيضًا هناك مشاعر قوية لما تكون في ضيق وتظن أنه لا يوجد أمل ثم تخرج من وسط هذا الضيق كله، معناه أن الله يفرج الكرب ويخرجك من الضيق كما أخرج هذه من أضيق مكان.

---

[1] الواقعة: ٦٣-٦٩

[2] لقمان: ١٣

لما تعرِف الله تعرِف كيف تفكِّر، لما تعرف الله تصبح عينك ترى الأشياء بصورة أخرى، لما تعرف الله تعرف تربيته.

مثلًا: تظنين في جارتك ظنًا ولم تقولي لها، فتجدي جارتك أتت تدافع عن نفسها دون أن تتكلمي، من المطَّلع على قلبك جعلها ترد على نفسها؟!

مثلًا هذه جارة جديدة عندك، تحدثين نفسك وتقولين: أولادها كبار ما شاء الله وما أنجبت بعدهم شكلها تريد أن تحافظ على رشاقتها، تأتيك هي تطرق الجرس وتقول لك: ادعي لي، أنا عندي موعد في المستشفى أتعالج لي ثمان سنوات ما أنجبت! هذا الجواب لأجل ماذا؟ هل من أجل أن تطّلعي وتعرفي؟ لا.

بل ليقول لك الله: أنا مطلع على ما في قلبك وأعلم بماذا تفكرين. الله مطلع وأنت تعلمين أنه مطلع ولما تنسي وتغفلي هو يطلعك ويذكرك.

المقصود أن كل الذي نجده في نفوسنا من ضعف تجاه التعلُّق بالدنيا وضعف تعلُّقنا بالله؛ سببه الرئيس أننا ما استفدنا من العطايا التي أعطانا الله إياها لنصل له، ولا يمكن أن نعذر في عدم الأخذ بها بسبب وجودها.

أولًا: كلنا نملك فطرة سوية.

ثانيًا: ما حولنا من الآيات والدلالات والتربية لله وإشارات مفروض أن أقرأها كما ينبغي.

ثالثًا والمهم جدًا: ما أرسل الله الرسل وأرسل معهم الكتب كان الكتاب منهجًا نستطيع أن نفسِّر به كل الأحوال التي حولنا.

معنى ذلك اجتماع هذه الثلاثة مع بعض تشكل لنا الطريق أن نؤمن، وعدم الانتفاع من هذه الثلاثة يسبب لنا ضعف الإيمان والحل العلم عن الله.

أول الحل: حتى أزيد إيماني ومن ثم أطهر وجداني، أتعلم عن الله.

جميعًا يحفظ قوله تعالى: {الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ}[1] لكن لما نأتي لنعبر عن هذه الصفات بحقائق واضحة نجدها ضعيفة، ما عندنا سطر نكتبه ولا أمثلة نقولها ولم أستمتع في حياتي بأن الله قريب ومجيب وحليم ورحيم وجبار، حتى أن بعض الناس لما يسمع جبار لا يفهم إلا جبر الملكوت -بمعنى قصم الجبارين- وينسى أنه يجبر قلوب المنكسرين، وهكذا كثير .

ولما يعاملنا الله بالجبر فيجبر لنا قلوبنا في مصيبة، نقول: أنا ماعندي إحساس، لذلك لا أبكي ولا أتذكر! وهو لا يعلم أن الله عامله بالجبر، حتى عطيَّة الله لا تقبل بسبب أننا لا نعرف الله!

[1] الحشر: ٢٣

إذًا اتفقنا أن أول طهارة للوجدان هو بإدخال الإيمان؛ لأنه إما الإيمان يكون في القلب أو الدنيا ومايتبعها، والنبي – صلى الله عليه وسلم– قال: ((حُبَّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ)) كل خطيئة رأسها أنك تحب الدنيا. الطمع، التنافس، الحقد، أمراض القلب التي لا يحس أحد بها، أمراض القلب ليس لها سبب إلا ضعف الإيمان. إما أن يكون القلب متصف بالطهارة بسبب وجود الإيمان، وإما يتصف بضد الطهارة الفساد أو الخبث والمرض.

- إذا وجد الإيمان في القلب طهَّره.
- وإن خرج من القلب فسد القلب.

سنضرب مثال حتى نتصور:

نحن نؤمن أن الله قسم الأرزاق للخلق قبل أن يخلق الخلق بخمسين ألف عامًا. ولما قسمها اختبر العباد بها، فكل واحد قسم له واختبره بالقسمة، نحن مختبرين بقسمتنا هل إذا أردنا أن نذهب لما هو رزقنا وماهو محبوس في الغيب هل نذهب من طريق يرضاه الله أو طريق لا يرضاه الله؟ على حسب الإيمان. نحن أقدارنا قد كتبت وأرزاقنا قد قسمت، ونحن في الدنيا نسعى لهذه الأرزاق والله ينظر لسعينا من أي طريق نذهب، وهل نرضى أو لا نرضى؟ وهل نقبل أو لا نقبل؟ واحد يعرف ربنا ويعرف أن الأرزاق قد قُسمت، إذا سعى في الطريق الذي يرضاه الله سيأتيه ماقسم له، وإذا سعى في الطريق الذي لا يرضاه الله أيضًا سيأتيه ماقسم نفسه لن يتغير! وبهذا يكون لو سعى في طريق الحق كتب له الأجر، ولو سعى في طريق الباطل كتب عليه الوزر.

الآن أنت ما كتب لك الرزق، ما كتب لك الولد، ما كتب لك الترقية ..، إلخ والجيران كتب لهم، فماذا يحصل في القلب؟ هنا إما **طهارة** بسبب الإيمان وإما **مرض**. تظهر الأمراض، يظهر الحسد أو الحقد أو على أقل تقدير التنزيل منهم، يعني هم يقسم له وأنت لا يقسم لك تقول: (الله يخلي الواسطة)! مافيه إيمان أن الله هو الذي قسم، فقط كذا حتى أعبر عن الغليان الذي في الداخل، ولا أحد يرى هذا الغليان، أنا أُمثِّل لكن الله مطلع!

ماذا أفعل لنفسي؟

- علينا أن نؤدب النفس ونراجعها.
- علينا أن نذكر النفس بالنعم ونمقتها قربة لله.
- لا نكره أنفسنا لأنها لم ترد على فلان وفلان، بل نمقت أنفسنا لأنها لم تتأدب مع الله.

كيف تكون الطهارة من أمراض القلوب؟ هناك قائمة من أمراض القلوب، هناك حقد وحسد وغيرة التي هي في حقيقتها حسد، كل ما زدت إيمانًا – إيمان بالله وأسمائه وصفاته وافعاله –كلما عرفت نفسك فتهذبها، تهذب القلب الذي يطّلع عليه الله عز وجل.

نضرب مثال آخر: تبتلى بأي بلاء وتجرح من فلان وعلان ويبقى قلبك متألم لفقد حبيب أو أي شيء، ثم يبقى قلبك يسعى عند الناس، يريد من الناس أن يجبروه، يتكلم مع هذا ساعة ويحكي له قصته، ثم يقول له: جبرك على الله، وإذا كلمته مرة أخرى يقول لك: نحن سمعنا كلامك أمس، وهذا يؤذيك وهذا يؤذيك، فيحصل في القلب تجاه الناس أن الناس ما يشعرون بأحد، الناس مالهم إلا نفسهم، ويبدأ في حقد على المجتمع والناس وأنهم ما يشاركون همومي!

ما الذي يطهر قلبك من هذه المشاعر؟ هو أن تعرف عن الله ما عرفه يعقوب عليه السلام، **{إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}**[1] ، ولأنه يعلم من الله ما لم يعلمه غيره كان كل توجهه إلى الله. فقوة الإيمان تعالج الأمراض، ما تجعلك إنسانًا حاقدًا على المجتمع وحاقدًا على من حولك، تدخل رمضان وأنت قلبك مليء غليان على من حولك، لن ينفعك رمضان ولا الصيام ولا أي شيء!

كل هذه الأحداث التي لابد أن تجري حولنا، تعالج هذه الأمراض التي تخرج من قلوبنا بالإيمان، ضعف الإيمان يسبب شدة غليان القلب على الناس، سوء الظن، كل هذه الأمراض تخرج بسبب ضعف الإيمان.

أعمال الإيمان كأنك تغرف من مكان وتملي قلبك، إذا قلبك على درجة الغليان من الأحداث التي تدور حولك أي شيء ستجده من برد الإيمان سيذهب، ليس له قيمة ولم يذق لا طعم الإيمان ولا برد الإيمان ولا أي شيء.

اتفقنا أن الإيمان بالله عز وجل سبب لأمرين:

١. الإيمان بالله عز وجل سبب لصلاح الأعمال، كلما زدت إيمانا كلما صلحت أعمالك وتقدمت.
٢. وزيادة الإيمان سبب لعلاج أمراض القلب؛ لأنه لما تطمع في شيء في الدنيا وتجري وراءه ستسعى وأنت مطمئن أن لا أحد سيأخذ رزقك الذي كتبه الله لك.

مثلا سيارة الأجرة تمشي في الشارع وتكون أكثر من سيارة، لما يكون في ضعف إيمان ماذا يحدث؟ يسقطوا على بعض، حتى يصلوا للزبون وممكن يصلوا إليه وما يتفقوا معه، والذي مشى بهدوء وصل إلى رزقه، لا نقول: اترك السعي، نقول اسع وأنت مطمئن أنه لا يوجد شيء كُتب لك ثم يأخذه أحد منك، كن مطمئنًا بالله!

اثنان يقدِّمان على ترقية واحد وهو في الترقية يكتب مايؤذي صاحبه، والثاني يكتب كلام على نفسه وأنه فعل وفعل، فيقبلون هذا والذي عنده أذية يسقطونه من حسابهم؛ السبب أن المرض الذي في القلب يظهره الله عز وجل على العبد فيعاقبه به، فيحرم أرزاقًا، ويحرم بركة، ويحرم قبول الناس له، وكله بسبب ما في القلب.

فالله مطّلع ويظهر ذلك على جوارح الإنسان.

[1] يوسف: ٨٦

المقصد من مجمل الكلام أن الإيمان يسبب لنا صلاح القلب وصلاح الأعمال. ونحن في الحقيقة أزمتنا التي نعيشها هي قلوبنا المريضة التي نريد أن نصلحها بوجبة خفيفة وهذا لا يكفي بل علينا بالتكثيف!

ما حقيقة الإيمان بالله عز وجل وكيف هو الوصول إليه؟

الإيمان هو التصديق الجازم بشيء قد غاب عنك وأخبرك الله عنه، إذن الإيمان بالله هو التصديق الجازم بكل ما أخبر الله عز وجل به عن نفسه، وهو غائب لكنا نجد آثار ما أخبرنا الله به عن صفاته.

فحتى نصل إلى الإيمان علينا بهذه الخطوات التالية:

١. أن تتعلم عن صفات الله عز وجل وتفهمها جيدًا من كلامه عز وجل وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم. يعني تسمع عنه أنه سبحانه وتعالى ودود يحب عباده، أنه غفور، أنه مجيب، أنه قريب، أنه مطلع على مافي القلب.
٢. وتبذل جهدك أن تلحظ آثار صفات الله عز وجل في كل شيء حولك، فمثلًا: أنت تعرف أن من صفات الله عز وجل أنه يملي للظالم –أي يمهله– ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر، فأنت تأتي في مواقف وتجد حولك ظالمين باقين فيأتي أحد يقول: أنا شكيت أني ماشي على الطريق المستقيم! أنا ماشي على الطريق المستقيم وهؤلاء ظلمة وهم فيهم وفيهم، أين معرفتك بالله؟! هذه المعرفة عليك أن تتلمسها في الواقع.

نحن لا ندرك الله سبحانه وتعالى بالحواس لكن أتتنا أخبار عنه، ودوري تجاه هذه الأخبار أن أرى آثار صفاته، أخبرك الله عز وجل أنه عزيز وما تري آثار عزته، وأخبرك أنه قريب وستري آثار قربه، ورزاق وكريم ورحيم، كل الصفات التي وصف الله بها لها آثار.

إذن ماذا سأفعل في الحياة؟ علينا أولًا أن نتعلم الصفات ونتعرف على الله عز وجل من كلامه، ونعرف الله عز وجل من كل قصة حكاها الله لك في القرآن، ومن كل حكم حكم الله به، من شرعه وقدره الذي نعايشه. إذن ماذا تفعلين؟ **تتعلمي ثم تتلمسي**.

نضرب مثال حتى تتصوروا:

- كلنا نعلم أن الله حكيم وهناك شواهد على حكمته في حياتنا الخاصة، وهناك شواهد على حكمته في كل الحياة، لو نظرت إلى الليل والنهار ترين فيهما حكمته سبحانه وتعالى، لو نظرت إلى الذكر والأنثى ترين فيهما حكمته، وهكذا.
- إلى أن نأت بمثال تفصيلي ونرى ماء زمزم، ونرى حكمة الله فيه، تلمسي وفكري، الله عز وجل جعل آية لأم إسماعيل عليه السلام تفجر ماء زمزم، اتركي القصة وفكري فيما بعدها، الله عليم أنه ستأتي أفواج لهذا البيت وسيكون في زمن هناك دول ترعى البيت وفي زمن لا يوجد دول ترعى البيت، أكثر ما يحتاجه الناس لما يجتمعون الماء، سواء رعاه الناس أو لم يرعونه سيبقى الماء موجودًا، وهذا الماء ليس ماء فقط أيضًا طعام طعم وشفاء سقم،

فلا ينضب، ومهما كثروا أو قلوا طال الزمان أو قصر لا زال الماء موجود، فسيصبح هذا البيت آهلًا بالناس بسبب وجود الماء فخرج الماء هذا آية، فتنظرين له وتري آثار حكمة الله في هذا.

المقصود أن حولك آثار كثيرة على صفاته، علي أن أتعلم عن الله تعلُّمًا واضحًا، وأشغل قلبي بهذا العلم فإذا حصل الانشغال بالتفكير في الله وأسمائه وصفاته، انفتحت العينين والأذنين لتلمُّس آثار صفاته سبحانه وتعالى.

إذا تلمست آثار صفاته وفكرت فيما حولك، بعد ذلك تأتي حالة التلقية، يعني بعد أن تعرف أسمائه وصفاته وتنظر حولك إلى آثارها عد إلى قلبك وابحث عن كل سوء ظن دخل في قلبك عن الله عز وجل، وسوء ظن في أقداره، وسوء ظن أنك لست محظوظًا ، وسوء ظن أن هذا أحسن منك وسوء ظن أنك ما توفق، وأخرجه حتى تصل إلى أن ترضى عن الله؛ لأنه لما يأتي النداء الأخير كما في سورة الفجر وتكون النفس مطمئنة يقال لها: {ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً}[1] فلما تعبد الله عبادات، المطلوب منك أن يكون عندك قلب راضي فلما تغرف من العبادة على قلب راض يزيد الإيمان.

ارضَ والله أعلم بك. دائمًا نقول: أنا أعرف نفسي ولما تأتِ المواقف تكتشف أنك أجهل واحد بنفسك، لا تعيش على "أحسب" فقد وصفهم الله في سورة النور، وصف الله رجل يسير في صحراء {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ}[2] .

خطوات لأرى آثار صفات الله:

١. أتعلم عن الله وأعيش تحت آثار أسمائه وصفاته.
٢. أبذل الجهد في ملاحظة آثار صفاته سبحانه وتعالى فتحصل في القلب زيادة الشهادة، يصبح لديك شيء أنت تذوقه والناس لا يذوقونه. أن يربيك الله تربية تجعلك متيقنة أن كل ضيق وراءه فرج، فيأتيك أحد الجاهلين يقول لك: ما زلت على هذا التفكير؟!أنت في عالم ونحن في عالم، فأعرف ما لا تعرفون، وأتيقن ما لم يتيقنوه لذلك لما يبلغ أربعين سنة، يتبصر ويقول: {وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وعلى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ}[3] ، حصل له الرضا، وخرج[4] من الشعور أن العمل الصالح هو الذي يقوم به وعرف أن العمل الصالح توفيق من الله عز وجل، وتأتي نتيجة مهمة بعد التجارِب: {وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي} لأني تيقنت أنك أنتَ الذي تربي العباد وتصلح العباد وتربيهم

[1] الفجر: ٢٨
[2] النور: ٣٩
[3] الأحقاف: ١٥
[4] الأحقاف: ١٥

وتبصرهم بأعين قلوبهم ما لا يراه غيرهم. أهل الإيمان لا يرون ما ترون ولا يشعرون بما تشعرون به لما يقوى الإيمان ويزيد اليقين.

قصة حقيقية: طفلة في سادس ابتدائي مصابة بمرض في عينها، ذهبت للطبيب قال لها الطبيب : ليس لها علاج، فالتفتت لها أمها وقالت: أما عند أهل الدنيا فليس عندهم علاج أما عند الشافي –سبحانه وتعالى– فذاك العلاج ، ورفع الله عنها المرض، لكن هذا من باب اليقين!

لما تعرف أن الله قيوم وأن كل مرض يمرض به الناس أصل علته عدم جريان الدم إلى هذا العضو، وأنت تعرف أن الله قيوم وهو من يجري الدم في العروق، تضع يدك على مكان الألم وتسمي الله وتقرأ عليه مؤمنًا أن الله هو من يجري الدم، فماذا تعتقد في الله؟ الله هو الذي يجري الدم، فلما تترك كل الناس يرفع البلاء بإذن الله.

نعرف قصة الثلاثة الذين خلفوا، نقرأ قصتهم من الآيات {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ} هذا هو الشاهد كلنا تضيق علينا أنفسنا وكلنا تضيق علينا الأرض بما رحبت لكن الثالث هو الفرق بيننا:{وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ} هذه اللحظة جاء الفرج، فما يأتي تضييق حتى يضيق عليك وهو ملك الملوك الواسع سبحانه وتعالى، لكن يضيق عليك لتعلم أنه لا ملجأ إلا إليه.

ليس كلنا يُسقط كل الناس ويظن ألا ملجأ إلا إليه، المؤمن وحده هو من يصل إلى هذا، يكون التوحيد لما تُسقط كل الناس وتعرف ألا ملجأ من الله إلا إليه.

الأعمال ينتظر منها أن تزيدنا إيمانًا، يدخل رمضان ويكون معك إيمان فيزيد، علينا أن نؤمن بالله ويلحقه أن نؤمن باليوم الآخر يعني لقاء الله. **حتى نؤمن بالله:**

١. علينا أن ندرس ونقرأ ونفهم أسماء الله وأفعاله وصفاته من كتابه. من الفاتحة من {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} إلى {مَلِكِ النَّاسِ} والله يحدثك عن نفسه وعنْ أوصافه وعن أفعاله حتى تقوم عليك الحجة.
٢. بعد أن عرفنا الله علينا أن نتبصر بقلوبنا آثار كمال صفات الله عز وجل.
٣. ثم علينا أن ننكب على قلوبنا، سنجد في قلوبنا من الأمراض التي سببها أننا لم ندخل معرفته سبحانه فيه. قُسم لك والله هو الرزاق وقسم لغيرك والله هو الرزاق ترضى عنه سيطيب لك الحياة، إلى آخر المفاهيم التي لو خرّجت الأمراض من قلبك ستطيب لك الحياة وتصل إلى ما وصف النبي –صلى الله عليه وسلم–:((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ

[١] التوبة: ١١٨
[٢] التوبة: ١١٨
[٣] الفاتحة: ٢
[٤] الناس: ٢

إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)) المؤمن يعرف أن السراء أتت[1] من الله ويستعملها ليتقرب من الله فيشكر، **((وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))** ويعرف أن الضراء من الله طرح للذنوب فيصبر، هذا كله بسبب ما معه من الإيمان. فانكب على قلبك لتخرج الأمراض. كل واحد منا عليه أن يفتح عيونه أكثر عن الأمراض التي في القلب. ليس له دخل بغيره، ماهي الأمراض التي في القلب؟ خرِّجها، اللئيم لا يلتفت إلى الأمراض، والكريم يبذل جهده أن يجاهد أمراض القلب.

أمراض كثيرة في القلب من أخطرها سوء الظن بالله –عز وجل– خاصة مما يطرح العبد في النار.ماذا قال الله –عز وجل– في كتابه؟ **{وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ}**[2] فالظن أردى صاحبه.

المعنى أن أمراض القلوب حتى تطهر ←لابد من دخول الإيمان.

أسأل الله أن يرزقني ويرزقكم الإيمان.

–إن شاء الله– نلتقي غدا لنكمل هذه المناقشة حول موضوع الإيمان، جزاكم الله خيرا..

[1] "صحيح مسلم " (كِتَاب الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ /بَاب الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ/٢٩٩٩)

[2] فصلت: ٢٣